

تفسير البحر المحيط

@ 450 وفي هذه الأحوال تحكم على اللغة ، انتهى . .

{ أَزَّهْهُ } : الضمير يعود على الخالق الدال عليه خلق . { عَلَايَ رَجْعِهِ } ، قال ابن عباس وقتادة : الضمير في رجعه عائد على الإنسان ، أي على رده حياً بعد موته ، أي من أنشأه أولاً قادراً على بعثه يوم القيامة لا يعجزه شيء . وقال الضحاك : على رده من الكبر إلى الشباب . وقال عكرمة ومجاهد : الضمير عائد على الماء ، أي على رد الماء في الإحليل أو في الصلب . وعلى هذا القول وقول الضحاك يكون العامل في { يَوْمَ تُولَى } مضمراً تقديره اذكر . وعلى قول ابن عباس ، وهو الأطهر ، فقال بعض النحاة : العامل ناصر من قوله : { وَلَا نَاصِرٍ } ، وهذا فاسد لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها ، وكذلك ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها على المشهور المنصور . وقال آخرون ، ومنهم الزمخشري : العامل رجعه ورد بأن فيه فصلاً بين الموصول ومتعلقه ، وهو من تمام الصلة ، ولا يجوز . وقال الحذاق من النحاة : العامل فيه مضمراً يدل عليه المصدر تقديره : يرجعه يوم تبلى السرائر . قال ابن عطية : وكل هذه الفرق فرت من أن يكون العامل لقادر ، لأنه يظهر من ذلك تخصيص القدرة في ذلك اليوم وحده . وإذا تؤمل المعنى وما يقتضيه فصيح كلام العرب جاز أن يكون المعنى لقادر ، وذلك أنه قال : { إِزَّهَّهُ عَلَايَ رَجْعِهِ لِقَادِرٍ } على الإطلاق أولاً وآخراً وفي كل وقت . ثم ذكر تعالى وخصص من الأوقات الوقت الأهم على الكفار ، لأنه وقت الجزاء والوصول إلى العذاب ليجمع الناس إلى حذره والخوف منه ، انتهى . { تُولَى } قيل : تختبر ، وقيل : تعرف وتصفح وتميز صالحها من فاسدها ، و { السَّرَائِرُ } : ما أكنته القلوب من العقائد والنيات ، وما أخفته الجوارح من الأعمال ، والظاهر عموم السرائر . وفي الحديث : إنها التوحيد والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة ، وكان المذكور في الحديث هو أعظم السرائر ، وسمع الحسن من ينشد : % (سيبقى لها في مضمرة القلب والحشا % .

سريرة ودَّ يوم تبلى السرائر .

%) .

فقال : ما أغفله عما في السماء والطارق ، والبيت للأحوص . ولما كان الامتناع في الدنيا إما بقوة في الإنسان ، وإما بناصر خارج عن نفسه ، نفى عنه تعالى ما يمتنع به وأتى بمن الدالة على العموم في نفي القوة والناصر . { وَالسَّمَاءُ } : أقسم ثانياً بالسماء وهي

المظلة . قيل : ويحتمل أن يكون السحاب . { ذَاتِ الرَّجْعِ } ، قال ابن عباس : الرجع : السحاب فيه المطر . وقال الحسن : ترجع بالرزق كل عام . وقال ابن زيد : الرجع مصدر رجوع الشمس والقمر والكواكب من حال إلى حال ومن منزلة إلى منزلة ، تذهب وترجع ، وقيل : الرجع : المطر ، ومنه قول الهذلي : % (أبيض كالرجع رسوب إذا % . ما ناح في محتفل يختلي .

%) .

يصف سيفاً شبهه بماء المطر في بياضه وصفائه ، وسمي رجعاً كما سمي إرباً ، قال الشاعر : % (ربا شمالاً يأوي لقلتها % . إلا السحاب وإلا الإرب والسبل . %) .

تسمية بمصدر آب ورجع . تزعم العرب أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض إذا أرادوا التفاؤل ، وسموه رجعاً وإرباً ليرجع ويؤب . وقيل : لأن الله تعالى يرجعه وقتاً فوقتاً ، قالت الخنساء : . كالرجع في الموجنة السارية . وقيل : الرجع : الملائكة ، سموا بذلك لرجوعهم بأعمال العباد . وقيل : السحاب ، والمشهور عند أهل اللغة وقول